مزاعم المستشرقين
حول القرآن الكريم
عرض موجز

الأستاذ الدكتور محمد مهر علي

تمهيد

يحاول المستشرقون دائما أن يثبتوا أن القرآن من وضع البشر، وبخاصة تأليف محمد ﷺ وموقفهم هذا من القرآن ليس بشيء جديد، بل هو في الحقيقة لا يختلف عن موقف مشركي مكة الذين بلّغهم الرسول رسالته والوحي القرآني مباشرة. فكانوا قد زعموا أن القرآن ما هو إلا قول البشر، أو أنّ صاحبهم "الأمين" و"الأمي" قد أصبح شاعرا أو ساحرا مجنونا؛ أو أن بشراً آخر علمه القرآن؛ والآيات القرآنية ليست إلا ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [1] (الفرقان: ٥).

ويرد القرآن على جميع هذه المزاعم ردا قاطعاً وذلك بطرق سبعة رئيسة، هي:

يقول الله تعالى إن القرآن ليس بقول البشر، وما هو بقول شاعر، ولا بقول كاهن ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [2] (يس: ٦٩).

ويكرر الله بكل صراحة في القرآن أنه هو الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعلمين نذيرا، وإنه تـ يل من رب العالمين، بلسان عربي مبين. [3]

كما يأمر الله رسوله ﷺ قائلاً ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [4] (القيامة: ١٦-١٧). هذه المـوعة من الآيات القرآنية تدل على أن ما يلقى على الرسول ﷺ كان نصا معينا ولم يكن فكرة وتصورا فقط.

كما يقوم الله سبحانه وتعالى بمواساة نبيه ﷺ مرارا وبتشجيعه على تحمل معارضة الكافرين وإعراضهم عن الحق بالصبر والمصابرة، مذكرا إياه بأنه لم يكن من قبله من نبي مرسل إلا وكذبه قومه وواجهوه بالظلم والاضطهاد.

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥ .

(٢) سورة يس آية : ٦٩ .

(٣) انظر القرآن ٢٥ : ١؛ ٢٦ : ١٩٢ ، ١٩٥ .

(٤) سورة القيامة آية : ١٦ - ١٧ .

كما يعلن الله للجميع أنه لو تقول علينا بعض الأقاويل ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [(1)] (الحاقة:٤٤-٤٧).

ويخبر الله الناس قائلا: ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [(2)] (النساء: ١٦٦). كما يأمر الله نبيه أن يقول للناس إن الله هو شاهد بينه وبينهم في أمر الوحي القرآني: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [(3)] (الأنعام:١٩). وهذه الموعة من الآيات مهمة جدا، فإنا تقرر أن وحي الله أمر خاص بينه وبين نبيه ولا يستطيع أحد آخر الاطلاع عليه.

وفوق كل هذا، يتحدى الله الجميع ويحذرهم قائلا: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [(4)] (البقرة: ٢٣-٢٤) والتحدي مفتوح إلى الأبد.

ومنذ عهد النبي ﷺ لم يزل النقاد من الكفار وغير المسلمين يكررون آراء مشركي مكة حيال القرآن، ومنذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي على الأخص، أخذ بعض علماء الغرب من المستشرقين يعيدون اعتراضات وافتراضات مماثلة حول القرآن، وذلك

(١) سورة الحاقة آية : ٤٤ - ٤٧ .
(٢) سورة النساء آية : ١٦٦ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٩ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٣ - ٢٤ .

بحجج وادعاءات متنوعة، ورواد هؤلاء المستشرقين ألوي سبرنجر (Aloy Sperngerَ) ووليم ميوير (William Muir) وثيودور نولدكة (Theodore Noldeke) واجناز جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) ودبليو فلهاوسن (W. Wellhausen) وليون كايتاني (Leon Caetani) ودافيد سامويل مرجليوث (David Samuel Margoliouth) وقد قام بتطوير آرائهم وتضخيم استنتاجاتم آخرون تبعوهم في القرن العشرين الميلادي، وفي مقدمتهم ريتشارد بيل (Ritchard Bell) وتلميذه وليم مونتغمري وات (William Montgomery Watt) وجميع هؤلاء المستشرقون يسعون بشتى الأساليب إلى الاستنتاج أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ.

ولكن في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي بدأ اتجاه جديد بين الجيل الجديد من المستشرقين الذين يقترحون أن القرآن ليس بتأليف محمد ﷺ فحسب، بل إنه اتخذ شكله الحالي تدريجيا عبر تطورات وتعديلات تمت في القرنين الأول والثاني من الهجرة. والجديرون بالذكر من بين هؤلاء المحدثين ج. وانسبرة (J. Wansbourough) وج.أ. بيلامي (J.A. Bellamy) وأندرو ريبين (Andrew Rippin) وقد قام ببسط ادعاءاتم وترويجها آخرون أمثال باتريشيا كرون (Patricia Crone) ومايكـل كـوك (Michael Cook) وكينيث كراج (Michael Cook) وتوبي ليستر (Toby Lester).

إن الذين يذهبون إلى أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ يركزون على الادعاءات التالية:

إن محمدا ﷺ كان رجلا طموحا واتخذ خطوات مدروسة للدور الذي قام به فيما بعد.[1]

---

(١) انظر : W . Muir : Mohamet of fe ، ٣ rd edition reprinted ١٩٢٣ ، pp . ٢٥-٢٦
D . S . Margoliou th : Mohammed and the Rise of Islam ، ndon ، ١٩٠٥
pp . ٦٤-٦٥ ، Montgomery Watt : Muhammad at Mecca ، Oxford ،

وهو بالأخص كرس نفسه لفن الشعر ليستطيع نظم القرآن. (1)

وإنه لم يكن رجلا دون معرفة بالكتابة والقراءة كما يزعم المسلمون، وإن لفظ "الأمي" المنسوب إليه يعني شيئا آخر. (2)

وإنه اقتبس الأفكار والقصص من اليهودية والنصرانية ثم ضمنها القرآن (3)

وإن كثيرا من الأخطاء العلمية المعاصرة، خصوصا تلك التي تتصل بالعالم والكون، معكوسة في القرآن، كما يوجد فيه العديد من العبارات والمصطلحات الجارية والمفردات الأجنبية، وكل هذه تدل على أنه من تأليف محمد ﷺ (٤)

وإن كلمة "الوحي" لا تعني إلقاء النص من الله بل تعني اقتراحا أو إشارة (suggestion) أو "التكلم الذهني" (Intellectual Locution) (5)

وأما الذين يدعون أن القرآن قد تطور عبر القرنين الأول والثاني من الهجرة فكلامهم يدور حول المزاعم التالية:

إن المصادر التاريخية الإسلامية ليست معاصرة ولا يمكن تصديقها.

. pp ، ١٩٨٨ ، Edinburgh ، apos;s Mecca]and Muhammad ، ٣٩ . p ، ١٩٦٠ . ٥١-٥٠

(١) انظر : Margoliouth ، op . cit ، p . ٥٣-٥٢ ، ٦٠ ، Muir : op . cit . P . ١٥ .

(٢) انظر : Watt : Muhammad]Mecca apos;s ، p . ٥٣-٥٢ .

(٣) انظر : Abraham Gelger : Judaism and Islam ، Madras ، ١٨٩٨; drahciR Bell : The Origin of Islam and its Christian Environment ، ndon ، ١٩٢٦; C . C . Torrey : The Jewish Foundations of Islam ، New York ، ١٩٣٣; A . I . Kash : Judaism in Islam ، New York١٩٥٤ .

(٤) انظر : Watt : Muhammad]Mecca apos;s ، pp . ٤٦-٤٥; C . C . Torrey : The Commercial Theological Terms of the Koran ، iden ، ١٨٩٢; ruhtrA Jeffry : The Foreign Vocabulary of t he Qur] apos;an ، Broda ، ١٩٣٨ .

(5) انظر : Richard Bell : "Mohammed] Call apos;s " ، The Moslem World ، January١٩٣٤ ، pp . ١٣-١٩; Mohammed]Vision apos;s ، Watt ;ibid : Muhammad at Mecca ، pp . ٥٢-٥٨ ، and " The Islamic Revelation in the Modern Worl d " ، Edinburgh ، ١٩٦٩ .

إن الحفريات الأثرية في جزيرة العرب خصوصا تلك التي جرت في منطقة نجف كشفت العديد من النقوش القديمة تدل على عدم وجود القرآن في القرن الأول الهجري.

إن المخطوطات القرآنية القديمة التي عثر عليها مؤخرا في صنعاء تشير إلى تطور القرآن خلال فترة طويلة.

وإن نقد النص القرآني يشير إلى أخطاء في نسخ القرآن.

ويتضح مما سبق أن مزاعم المستشرقين لها جوانب متنوعة وأبعاد خطيرة، وأنم لا يكفون عن محاولات النيل من القرآن.

كما يلاحظ فإن الموعة الأولى من ادعاءاتم تتصل بسيرة النبي ﷺ كذلك، وقد عالجت حججهم الرئيسة بالنسبة إلى هذه الادعاءات في كتابي "سيرة النبي ﷺ والمستشرقون". (١) على أية حال، فإنه لا يمكن استقصاء جميع أقوالهم في حدود بحث واحد. لذا خصصت الصفحات التالية لإلقاء بعض الضوء على نظرياتم بالنسبة للمجموعة الثانية من الادعاءات.

---

(١) انظر : M . M . Ali : Sirat al-Nabi and the Orientialists ، vol : A١ ، King Fahd Qur'an Printing Complex ، Madina ، ١٩٩٧ ، Chapters : x- xii and xvi-xxii .

ج. وانسبرة (J. Wansborough) وأعوانه

انتكاسهم في الفكرة الخاطئة القديمة

إن إجناس جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) هو الذي حاول في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي التشكيك في صحة المصادر التاريخية الإسلامية قائلا بأن معظم الروايات (الأحاديث) إن لم يكن جميعها، برزت في حيز الوجود في القرن الثاني(أو الثالث) الهجري إثر نشوء خلافات سياسية وعقدية وقانونية بين المسلمين، فجاءت كل فرقة منهم بروايات مفتريات تؤيد آراءهم ومواقفهم الخاصة، فلا يمكن الاعتماد عليها. (١)

وقد أخطأ جولدتسيهر في نظريته هذه من عدة نواح، الرئيسة منها أنه تجاهل اهتمام المحدثين الشديد بنقد الحديث سندا ومتنا. (٢) وفي الواقع قام بفحص فرضيته مستشرق شهير في الربع الأول من القرن العشرين، وهو هوروفيتس (J. Horovitz) الذي كتب سلسة من رسائل علمية معمقة أثبت فيها أن جمع الأحاديث وتدوينها بدأ بدقة في الربع الثاني من القرن الأول الهجري. (٣) فلم تلق نظرية جولدتسيهر قبولًا من قبل عامة المستشرقين أنفسهم. ولكن في منتصف القرن تأثر يوسف شاخت (Joseph Shacht) وهو وقتئذ أستاذ بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن (School of Oriental and

---

(١) انظر: Ignaz Goldziher، Mohammedarische Studien (first published ١٨٩٠)، vol: ٢، tr. Into English by C. R. Borber and Sten under title: Muslim Studies، vol: ٢، ndon، P. ١٧٠.

(٢) انظر: M. M. Al-Azami: Studies in Early Hadith terature، Beirut، ١٩٦٨؛ محمد لقمان السلفي: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، الرياض، ١٩٨٤م؛ محسن عبد الناظر: دراسات جولدزيهر في السنة ومكانتها العلمية، رسالة دكتوراه، جامعة تونس، ١٤٠٤ / ١٩٨٤.

(٣) انظر: J. Horovitz: "The Earliest Biographies of the Prophet and Their Author's"، translated from the German by Marmaduke Pickthall، Islamic Culture، vol: ١، ١٩٢٧، pp. ٥٣٥-٥٥٩; vol: ٢، ١٩٢٥، pp. ٢٢-٥٠، ١٦٤-١٨٢ and ٤٩٥-٥٢٣.

(African Studies) بأفكار جولدتسيهر فضخمها في كتاب بعنوان: (Origins of Muhammadan Jurisprudence) (أصول فلسفة التشريع الإسلامي). (١) ذهب فيه إلى القول: إن الروايات الإسلامية لا صحة لها على الإطلاق، وحتى الروايات التاريخية لا يمكن الاعتماد عليها إذ إنا وضعت لأغراض تشريعية، وأن الشريعة الإسلامية كانت خارج نطاق الدين الإسلامي وأن القرآن لم يكن مصدرا لها خلال القرنين الأول والثاني من الهجرة.

وبالطبع أثار كتاب شاخت انتقادات حادة لا من قبل العلماء المسلمين فحسب، (٢) بل من قبل علماء الغرب كذلك. فقال ن. ج. كولسون (N.J. Coulson) أستاذ آخر بجامعة لندن: إن فرضية شاخت تؤدي إلى إيجاد فراغ تاريخي لا يمكن قبوله نظراً للواقع، (٣) وقال وات (W.M. Watt) إن علماء الغرب يقبلون صحة عامةِ ما جاء في كتب السيرة ويكملونا بما يوجد من الإشارات في القرآن، وإن الأسلوب الأفضل هو اتخاذ الروايات والإشارات القرآنية لُيتم بعضها بعضا. (٤) وقال ماكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) إن فترة قرن فاصلة لا تعتبر مفرطة، فإنه يعرف قبيلة سودانية يروي أفرادها ذكريات آبائهم لوقائع تاريخية لهم ترجع إلى وقت قبل ثلاثة قرون، كما أن له أصدقاء مسنين يروون عن آبائهم ذكريات انجلس (Engels) ترجع إلى فترة ما بين ١٨٤٠ و ١٨٤٨م، وأن بعض هذه الذكريات قد أدخلت في مجلد نشره معهد الماركسية واللينينية

---

(١) Published at Oxford ، ١٩٥٠ .

(٢) انظر مثلا : M . M . Al-Azami : On Shacht]Origin of Muhammadan apos;s Jurisprudence ، King Saud University and John Wily and Sons . Inc . ، New York ، ١٩٨٥ .

(٣) انظر : N . J . Coulson : A History of Islamic w ، ndon ، ١٩٤٦ ، pp . ٦٤-٦٥ .

(٤) انظر : M . M . Watt : Muhammad at Mecca ، Oxford ، ١٩٦٠ ، p . xv; and his " The Materials used by Ibn Ishaq " in B . wis and P . M . Holtfield (ed) : Historians of the Middle east ، ndon ، ١٩٦٢ ، pp . ٢٣-٢٤ .

بموسكو (Institute of Marxism-Leninism) [1] ويضيف رودونسون قائلا: إن هذا النوع من "الإسناد العائلي" قابلٌ للاعتماد عليه وإن شك فيه شاخت. [2]

وبالرغم من هذه الانتقادات والرفض العام للأفكار الخاطئة المطروحة من قبل جولدتسيهر وشاخت فإن بعض أعضاء هيئة التدريس بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن تبنوها في السبعينيات وتجاوزوا جميع الحدود في الغلو والمبالغة. وكان رائدهم جون وانسبرة (John Wansborough) الذي أصدر كتابين متتاليين في سنتي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ وهما: : Qur'anic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation (الدراسات القرآنية: مصادر ومناهج التفسير للكتاب الديني) و Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History (البيئة الطائفية: محتويات تاريخ النجاة الإسلامي وتأليفه). استخدم فيهما وانسبرة ما يسمى بأدوات نقد الكتاب المقدس وأساليب تنقيحه ونقد النص وتاريخ تعديله، وخلص إلى ما يلي:

إن القرآن تطور تدريجيا في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين من أصل روايات شفوية عن طريق تعديلات جرت عبر قرنين، ثم أعطيت شكلا رسمياً(Canonical Form) وصادف ذلك بروز التفاسير القرآنية، وكانت هذه العملية مماثلة لما حدث في تقويم الكتاب المقدس لليهود. [3]

إن الطابع الجدلي لكثير مما جاء في القرآن يدل على أن معارضة يهودية قوية كانت السبب في عملية الترسيم.

إن الروايات الإسلامية مماثلة لما يسميه علماء الكتاب المقدس بـ "تاريخ

---

(١) انظر : Souvenires sur Marx et Engels ، Russian edition ، ١٩٥٦ .

(٢) Rodinson me : " A Critical Survey of Modern Studies on Muhammad " ، in Merlin Swarty (ed) ، Studies in Islam ، OUP ، ١٩٨١ ، pp . ٤٤ notes and ١٢٣ and ١٢٤ pp at . ٧٥-٧٦ .

(٣) انظر : J . Wansborough : Qur]apos;anic Studies ، etc ، Oxford ، ١٩٧٧ ، pp . ٤٢-٤٥ .

النجاة" (Salvation History) أي قصة وضعت متأخرة لأغراض دينية ودعوية، ثم نسبت إلى وقت مبكر (projected back in time).

إن تفسير عدم بقاء أية مواد تاريخية إسلامية من القرن الأول الهجري يعود إلى عدم وجودها، وأنه لا يمكن تصديق معظم الروايات الإسلامية بواسطة مصادر معاصرة غير إسلامية. كما يقول وانسبرة استنادا إلى شاخت: إن القرآن لم يكن مصدرا للشريعة الإسلامية قبل القرن التاسع عشر الميلادي. (١)

وتزامن صدور كتاب وانسبرة الأول نشر كتاب جدلي آخر بقلم باتريشيا كرون (Patricia Crone) ومايكل كوك (Michael Cook) وقد كانا بمدرسة الدراسات الشرقية الإفريقيـة وقتذاك، وعنوان كتابهما: The Making of the Islamic World: Hagarism (الهاجرية: تكوين العالم الإسلامي)، وقد صدر عام ١٩٧٧م. يعترف كوك وكرون أنهما لم يكتبا في كتابهما بشأن القرآن شيئاً ليس له أصل فيما كتبه وانسبرة في كتابه الدراسات القرآنية. (٢) وهذا يدل على أنهما كانا على علم بما يكتبه وانسبرة حين كانا يؤلفان كتابهما.

على أي حال، فإن الأمور التي وردت في وانسبرة متشابكة ومشوشة للغاية. وبما أنها مبنية على أفكار جولدتسيهر وشاخت الخاطئة الفاسدة فإن الفرع يعتريه ما يعتري الأصل الباطل. وإضافة إلى ذلك فقد أخطأ وانسبرة في أمور أخرى، منها:

أولا: تأثر وانسبرة بما يعرفه عن تدوين الكتاب المقدس وتنقيحه، فيحاول تطبيق تلك القصة على القرآن، ولكنه يتجاهل تماما أن عملية إصدار كتاب ديني مثل الكتاب المقدس، خلاف لكتاب عادي، تتم دائما بواسطة مجلس أو مؤتمر وتكون وقائع مثل هذا الحدث عامة ذات أهمية كبرى ولا تفوت أنظار الناس فيسجلها المؤرخون والمراقبون. والوقت

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(٢) نقل القول توبي ليستر (Toby ster) في مقالته " What is the Koran " ، The Atlantic Monthly ، January ١٩٩٩ ، p . ٥٥ .

الذي يشير إليه وانسبرة كان قد شهد خلافات سياسية وعقدية بين المسلمين أنفسهم وكانت الدولة العباسية المترامية الأطراف مشتملـة على أجزاء من شبه القارة الهندية في الشرق، وأجزاء من أوروبا في الغرب. فلو جرى إصدار كتاب ديني للمسلمين في تلك الفترة لسجله التاريخ بشكل أو بآخر. لكن وانسبرة وأعوانه لا يستطيعون الإشارة إلى أي حادث مثل هذا، لا من مصادر إسلامية ولا من مصادر يونانية أو فارسية أو هندية، فافتراضه لا أساس له من الصحة.

ثانيا: يزعم وانسبرة أن الروايات القرآنية المتفرقة بقيت شفوية عبر قرنين ثم جمعت في القرن التاسع الميلادي في حين يقول إن الروايات الإسلامية التاريخية لم تكن موجودة من قبل، بل اختلقت في القرن التاسع ونسبت إلى وقت مبكر من بداية القرن الأول الهجري. فنظريته بالنسبة لمجموعة من الروايات حسب زعمه مناقضة لنظريته بالنسبة لمجموعة أخرى من الروايات، وإضافة إلى ذلك فزعمه غير منطقي إذ لا يمكن تصور اختلاق روايات ذات عدد هائل ومتصلة بوقائع وتطورات متنوعة مع فروقها الواسعة في الأزمنة والأماكن والأشخاص.

ثالثا: يخطئ وانسبرة في قوله إن القرآن كان جاريا في روايات شفوية متفرقة. ومعنى هذا القول أن المسلمين كانوا يحفظونه بكامله في صدورهم، ولكن بالإضافة إلى ذلك كان القرآن متداولا أيضا في شكل كتاب كامل، وذلك منذ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

رابعا: كما يخطئ في قوله إن القرآن جدلي إلى حد كبير وإن ترسيمه تم في بيئة تسودها معارضة يهودية قوية. إن القرآن ليس جدليا بل إنه ينتقد وينهى عن جميع أنواع الشرك والانحراف عن التوحيد، فيشجب الوثنية والمجوسية والصبئية عبادة النجوم والشمس والقمر وعبادة الأشجار والجبال، كما يدين التثليث وتأليه عيسى عليه السلام والاعتقادات اليهودية الخاطئة. وبما أن القرآن يرفض جميع هذه الأنواع من الضلالة، وليس فقط ضلالة اليهودية وقتذاك، ويشير إلى معارضة المشركين والمنافقين واليهود على السواء،

فإنه جاء في بيئة تسري فيها هذه الضلالة، وهي بيئة سادت الجزيرة العربية في عصر النبي ﷺ لا في العصر العباسي. وإذا اعتبرنا معارضة اليهود فقط فهي حدثت في المدينة بعد هجرة النبي ﷺ إليها، لا في العهد العباسي. وإن في القرآن نفسه لدلالات عديدة على معاصرتا للنبي ﷺ. فهو لا يتحدث عن معارضته للمشركين والمنافقين واليهود والمعارك التي خاضها فحسب، بل يعاتبه أحيانا لانصرافه عن الأعمى الذي جاءه ليزكى (١) أو ينهاه عن طرد الفقراء من قربه (٢) ويأمره بالمصالحة مع زوجاته. (٣) وجميع هذه الآيات تدل على معاصرتا المطلقة للنبي ﷺ.

خامسا: يخطئ وانسبرة في قوله: إنه لم توجد مصادر تاريخية للإسلام قبل القرن التاسع الميلادي (نهاية القرن الثاني الهجري). فإضافة إلى القرآن الكريم، هناك دلائل عديدة تثبت كتابة أقوال النبي ﷺ إبان حياته (٤) وعلى بدء تدوين الأحاديث والروايات بانتظام في الربع الثاني من القرن الأول الهجري. (٥) وعلاوة على ذلك، فإن وجود المخطوطات القرآنية القديمة والآثار والنقوش التي ترجع إلى القرن الأول الهجري يبطل دعوى وانسبرة، وتجدر الإشارة هنا إلى اكتشاف مجموعة من المخطوطات القرآنية في صنعاء عام ١٩٧٠ والتي بعضها (خصوصا مخطوطة رقم ٢٠-١٠٣٣) ترجع إلى الربع الأخير من القرن الأول الهجري.

وقبل أن نتحدث عن هذه المخطوطات الصنعانية، ينبغي أن نشير إلى بعض مزاعم أخرى للذين تأثروا بأفكار وانسبرة.

---

(١) القرآن : ٨٠ : ١-٤ .
(٢) القرآن : ٦ : ٥٢ .
(٣) القرآن : ٦٦ : ١-٣ .
(٤) انظر : صحيح البخاري ، ح ١١١-١١٢ ، ومسند أحمد ، ج٢ ، ص : ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٤٠٣ .
(٥) انظر مقالات هوروفيز المشار إليها سابقا .

يهودا دي نيفو (Yehuda De Nevo) والمنقحون (The Revisionist)

تأثر بعض المستشرقين الجدد بأفكار وانسبرة، وعلى الأخص الذين يلقبون بـ "المنقحين" (Revisionists) ويعتقدون أنه لا بدّ لليهود في العصر الحديث من تنقيح أو نسف تاريخ العصور الوسطى وذلك لإفساح المجال لتمكينهم من التعايش مع الآخرين على أرضية متساوية. ومن بينهم يهودا دي نيفو وج. كورن اللذان حددا منهجهما في نقطتين هما:

١-إنه لا بد من توثيق أية معلومات تنفرد بها الروايات الإسلامية بشواهد أثرية مادية (Archaeological evidence material) وفي حالة التناقض بينهما تفضل الثانية.

٢- إن عدم وجود شاهد خارجي لحدث تنفرد به الروايات الإسلامية يعد دليلا إيجابيا على أن الحدث لم يحدث.

وانطلاقا من هذين الأساسين يقول دي نيفو و ج. كرون: إن حفريات أجريت في مناطق صحراوية من الأردن قد كشفت عن آثار يونانية ونبطية ورومانية، كما أن حفريات في النقب أظهرت آثارا تدل على وجود الوثنية والحياة الجاهلية هناك في القرن السادس والسابع الميلاديين (القرن الأول الهجري) وهذه الجاهلية مماثلة لما تذكره المصادر الإسلامية بالنسبة للحجاز في ذلك العصر، ولكن الحفريات في الحجاز نفسه لم تكشف عن أية آثار للجاهلية والوثنية، ولا عن آثار تشير إلى وجود اليهود في المدينة أو في خيبر أو في وادي القرى. وهذا يعني أن المصادر الإسلامية أخذت معلومات عن الجاهلية والوثنية السائدة في النقب ثم نسبتها إلى تاريخ الحجاز ومكة في القرن السادس الميلادي. (١) ومن ناحية أخرى اكتشفت في النقب عدد من النقوش العربية تشير إلى وجود اليهودية والنصرانية هناك جنبا إلى جنب مع فكرة التوحيد بدون ذكر نبي أو رسول، كما تحتوي

---

(١) انظر: Y and Koren . D . Nevo : " methodological Approaches to Islamic Studies "، Der Islam، Band٦٨، Hapt١، pp . ٩١-١٠٢ .

على عبارات توجد في القرآن ولكنها لا تذكر القرآن ولا الإسلام ولا الرسول، وهذه النقوش ترجع إلى القرنين الأول والثاني الهجريين، وفي الوقت نفسه لم تكتشف في الحجاز أية نقوش تدل على وجود القرآن والإسلام هناك في القرنين الأول والثاني الهجريين. فهذا يعني أن القرآن اقتبس الأفكار من اليهودية والنصرانية ومن فكرة التوحيد النقبي القديمة. تم ترسيم [1] القرآن بعد أن أدخلت فيه العبارات العربية الموجودة في تلك النقوش الخاصة بالمصطلحات الدينية للمسلمين وذلك في نهاية القرن الثاني الهجري أو بعده. [2]

من الواضح أن هذه المزاعم خليط مما يقوله المستشرقون القدماء: إن القرآن مقتبس من اليهودية والنصرانية، ومن أقوال جولدتسيهر وشاخت ووانسبرة الذين يزعمون أن المصادر التاريخية الإسلامية مختلقة برمتها في القرن الثاني الهجري، وأن القرآن تم ترسيمه في الوقت نفسه. وقد حاول دي نيفو وأعوانه المنقحون تدعيم هذه الآراء بما يزعمونه شواهد أثرية. ولكن موقفهم غير معقول إلى حد أن دَحضَه جاء بادئ ذي بدء من قبل المستشرقين غير المنقحين. فقد كتب الأستاذ ف. م. دونار (F.M. Donar) كتابا مستقلا [3] يثبت فيه أن تدوين الروايات والتاريخ الإسلامي بدأ في وقت مبكر من القرن الأول الهجري ويقول: إن عدم وجود أسلوب قرآني في النقوش العربية المكتشفة في النقب مع إشارة فيها إلى التوحيد يمكن اتخاذه شاهدا على جمع القرآن متأخراً. ولو ثبت أن جمع القرآن حصل أولا في الشام وليس في الحجاز- ولكن هذا ما لم يثبته نيفو ولا وانسبرة - لأمكن استخدام الحجة نفسها لإثبات أن تعاليم القرآن وأساليبه تسربت تدريجيا إلى البلاد المجاورة مثل الشام. [4]

---

(١) المراد به نشر القرآن بصفة رسمية أقرها الخليفة .

(٢) انظر : Y . D . Nevo : " Towards a pre-history of Islam " ، Jerusalem Studies in Arabic and Islam ، vol : ١٧ ، ١٩٩٩ ، pp . ١٢٥-١٢٦ .

(٣) انظر : Fred M . Donner : Narratives of Islamic Origins : The Beginnings of Historical Writings ، Darwin Press ، Inc ، Preston ، ١٩٩٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

وتشير المستشرقة استيلا ويلان (Estelle Whelan) إلى ثلاثة شواهد تبطل ادعاءات نيفو ووانسبرة. [(١)] أولا: النقشان الطويلان الموجودان على وجهي البواكي في قبة الصخرة بالقدس، واللذان يشتملان على مقتبسات من القرآن الكريم، ولا سيما الآيتان ٥٧: ٢ و ٤٦: ١، مع إثبات كلمة الشهادة في كليهما، نصبهما الخليفة الأموي عبد الملك في سنة ٧٢هـ (٦٩١-٦٩٢م) إلا أن الخليفة العباسي المأمون وضع اسمه مكان اسم عبد الملك بدون تغيير التاريخ. وتقول ويلان: إن وجود اختلافات طفيفة في العبارات لا تعني أن المقتبسات ليست من القرآن، كما يزعم كرون وكوك، [(٢)] بل أدخلت من أجل تنسيق النص مع الموضوع والسياق، وكان المسلمون ولا يزالون يخلطون النصوص القرآنية بعبارات أخرى مناسبة في النقوش والمؤلفات والخطب، وهذا يدل أن القرآن لم يكن نصا مدوناً فحسب، بل كان متداولا ومألوفا لدى عامة المسلمين المثقفين. وإلى جانب هذين النقشين في القبة الخضراء نصوص قرآنية قصيرة مثل ١١٢: ١-٢ و٩: ١٣٣ على عملات الأمويين المضروبة بين سنتي ٧٧هـ و١٣٢هـ (٦٩٧-٧٥٠م). وكل هذا يدل على وجود القرآن وتداوله بين المسلمين منذ منتصف القرن الأول الهجري خلافا لما يزعم نيفو ووانسبرة.

والشاهد الثاني نقش طويل كان على الجدار الجنوبي (ناحية القبلة) للمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة وكان يمتد من باب السلام عبر الجدار إلى باب جبريل وكان يشمل سورة الفاتحة والسور ٩١-١١٤. شاهد هذا النقش أبو علي بن رسته في سنة ٢٩٠ ٩٠٣م [(٣)] كما شاهده زائر أندلسي وكان قد نصبه عمر بن عبد العزيز في سنة ٨٨

---

(١) انظر : Estelle Whelan : " Forgotten Witness : Evidence for the Early Codification of the Qur]an apos; " ، Journal of the American Oriental Society ، vol : ٤٨ ، no : ١ ، ١٩٩٨ ، pp . ١-١٤ .

(٢) انظر : P . Crone and M . Cook ، Hagarism etc . ، pp . ١٨; n١٦٧ . ١٨ .

(٣) ابن رسته : كتاب الأعلاق النفيسة ، (تحرير دي جيجي (M . J . De Geeje) ليدن ، ١٨٩٢ ، ص . ٧٠ .

٧٠٦م حينما كان واليا للخليفة الوليد بالمدينة. ويشير ابن رسته إلى أنه كانت هناك نقوش قرآنية أخرى في جدران المسجد التي هدمها الخوارج سنة ١٢٠ ٧٤٧م. كما يشير السمهودي، نقلا عن الواقدي وابن زبالة إلى أن نقوشا قرآنية أخرى كانت على الجدران بوجهيها الداخلي والخارجي وفوق أبواب المسجد. (١) وتقول ويلان "إن وجود ٢٤ سورة متتالية من أواخر القرآن في النقش على الجدار القبلي لدليل قاطع على أن ترتيب السور القرآنية كان قد تم قبل عهد عمر بن عبد العزيز بكثير (٢)

والشاهد الثالث وجود نساخ للقرآن بالمدينة منذ منتصف القرن الأول الهجري اشتهروا بـ "أصحاب المصاحف". (٣) كما تطورت فيها مدرسة للنحويين المهتمين بالكتابة القرآنية في أواخر القرن الأول الهجري. (٤) ومما لا شك فيه أن المدينة كانت مركزا علميا وثقافيا للمسلمين قبل نشأة المدن في العراق، وأن هؤلاء النساخ كانوا يلبون طلبا متزايدا لنسخ القرآن للدراسات والتدريس في المساجد والمدارس وبيوت الناس. وتجدر الإشارة إلى أن الخلفاء الأمويين، بدءا من معاوية، كانوا ينظمون جميـ ـع جوانب الحياة الدينية، فقام معاوية - مثلاً - بتزيين المنبر في المسجد النبوي وأمر ببناء المقاصير في المساجد الجوامع، واستخدم عبد الملك النصوص القرآنية استخداما موزونا مناسباً في النقوش وعلى العملات، وقام الوليد بتوسيع المسجد النبوي إلى حد كبير. ونظرا لهذا كله، فإن الاحتمال بأن اهتمامهم بذه الأمور سبق اهتمامهم بجمع القرآن وتوزيعهم بين الناس

---

(١) السمهودي : وفاء الوفى بدار المصطفى ، الـلد الأول (تحرير : م . م . عبد الحميد) ، القاهرة ، ص . ٣٧١ .

(٢) ويلان : المصدرالسابق ، ص . ١٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص . ١٠-١٢ ، نقلا عن الطبري ، التاريخ ، (ط . ليدن) ٣ : ٢٣٢٩؛ انظر أيضا مقالتها : " Writing the Words of God : Some early Qur]apos;an Copyists and their Milieu " ، part١ ، Ars Orientalis ، ١٩٩٠ ، pp . ١١٣-٤٧ .

(٤) انظر : R . Talman : " An Eight century Grammatical School in Madina : The Collection and Evaluation of the Available Material " ، Bulletin of the School of Oriental and African Studies ، vol . ٤٨ ، ١٩٨٥ ، pp . ٢٢٥-٢٢٨ .

احتمال بعيد كل البعد.

وبالإضافة إلى هذه الحقائق فإن نيفو يخطئ في وجهة نظره من نواح أخرى. منها:

أولاً: افتراضه أن جميع ما تقوله المصادر والروايات الإسلامية بالنسبة لتأريخ الإسلام للقرنين الأول والثاني ينبغي توثيقهما بمصادر معاصرة غير إسلامية أو بآثار مادية، وإذا لم يمكن توثيقها فإنها تعتبر معدومة. هذا منهج غير معقول وغير مناسب حتى بالنسبة لكثير من وقائع التاريخ الحديث فضلا عن وقائع تاريخ العصور الوسطى والقديمة التي لا محالة من أن تعتمد في كثير من الأحيان على مصدر منفرد ليس بمعاصر.

ثانيا: إن ظنه أن قصة الجاهلية والوثنية بالنسبة للحجاز مختلقة يفترض أن جميع ما ينبغي من الحفريات في تلك المنطقة قد، تم عمله وأنه لم يبق عمل شيء بذا الصدد. وهذا ليس بصحيح على الإطلاق، فإن كثيرا من الأماكن لا تزال بحاجة إلى مسح ودراسة. كما يتغاضى في هذا القول عن أمر هام وهو أن الأوثان والمعابد الوثنية تم تدميرها وطمسها في الحجاز على نطاق أوسع وأكمل بعد مجيء الإسلام مما كان الحال في البلاد المجاورة التي دخل فيها الإسلام تدريجيا.

ثالثا: يغفل نيفو كذلك عن طبيعة الوثنية في الحجاز، فأنها لم تكن أصيلة هناك بل كانت مستوردة من الشام، ومن ثم لم تكن عميقة الجذور ومتطورة ذات أساطير متشابكة مثلما كانت في اليونان والعراق والهند، وإن كانت منتشرة انتشاراً واسعاً قبيل ظهور الإسلام. وتقول رواية إسلامية: إن عمرو بن لحي زعيم بني خزاعة هو الذي استورد الوثنية من الشام وقدم بصنم هبل فنصبه بمكة وأمر الناس بعبادته وتعظيمه. [1] كما جاء

---

(١) صحيح البخاري : ح ٣٥٢١ و٤٦٢٣-٤٦٢٤؛ صحيح مسلم ، ح ٢٨٥٦؛ مسند أحمد ، ج٢ ، ص . ٢٧٥-٢٧٦ ، وج٣ ، ص . ٣١٨ ، ٣٥٣-٥٤ ، وج٥ ص . ١٣٧؛ وابن هشام : السيرة النبوية (تحرير مصطفى السقا والآخرون) ، ج٥ ، ص . ٧٨ -٧٩؛ الكلبي : كتاب الأصنام (تحرير أحمد زكي باشا) ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ ، ص . ٨ .

بأصنام ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، [(١)] وهي الآلهة التي كان قوم نوح عليه السلام يعبدونا، ويتحدث عنها القرآن. [(٢)] وإذا كان الأمر كذلك، فإن الاكتشافات الأثرية في النقب توثق المصادر الإسلامية من هذه الناحية، بدلا من أن تناقضها، كما يظن نيفو.

رابعا: يخطئ نيفو في تلميحه بأن الإسلام كان ردة فعل للوثنية إذ يقول إن المسلمين اختلفوا قصة الوثنية في الحجاز تمهيداً لظهور للإسلام. القرآن طبعا يدين الوثنية، ولكنه لا يكتفي بذلك، بل ينتقدها وينهى عن جميع أنواع الانحرافات عن التوحيد وجميع ألوان الشرك التي كانت سائدة لا في الجزيرة العربية فحسب بل في العالم أجمع. فالقرآن يحرم عبادة الشمس والقمر والأجرام الفلكية الأخرى التي كانت سائدة في بعض مناطق الجزيرة العربية ولكنـها جاءت من الشرق إلى الغرب، كما يدل على ذلك وجود معبـد السماء (The Temple of Heaven) في بكين (Beijing، China) ووجود أهرامات لعبادة الشمس والقمر والأجرام الفلكية في جنوب شرق آسيا وعبر شمال إفريقيا إلى أمريكية الجنوبية. [(٣)] كذلك ينهى القرآن عن عبادة الجبال والأشجار والأنار والظواهر الطبيعية مثل السحاب والبرق والرعد. قال تعالى: ﴿ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ [(٤)] (فصلت: ٣٧).وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾ [(٥)] (الحج:١٨). قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ

(١) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص . ٦٣٤ .
(٢) القرآن : ٧١ : ٢٣ .
(٣) Alan F . Alford ، Gods of the New Millennium ، ndon ، ١٩٩٦ .
(٤) سورة فصلت آية : ٣٧ .
(٥) سورة الحج آية : ١٨ .

﴿ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾[1] (الرعد: ١٢-١٣). كما ينهى الله في القرآن عن تأليه الملائكة والأنبياء والأشخاص البارزين كما كان الناس في شتى أنحاء العالم يفعلون ولا يزالون. يقول ﷻ ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾[2] (آل عمران: ٨٠)، ويقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[3] (الأعراف: ١٩٤). كذلك ينهى الله ﷻ في القرآن عن عبادة إلهين، إله للخير وإله للشر، أو إله النور وإله الظلمات، كما كان المجوس يفعلون. يقول ﷻ في القرآن ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[4]،(النحل:٥١)، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[5] (الأنعام: ١) وفي السياق نفسه يستنكر القرآن تأليه عيسى عليه السلام وجعل الأبناء والبنات لله، وفكرة التثليث والتجسد، وغير ذلك من الشرك والانحرافات عن التوحيد، فالقرآن عالمي من ناحيتي المنطلق والرسالة على السواء، فلا داعي للمسلمين لاختلاق قصة للوثنية في الحجاز على غرار ما كان سائدا في النقب، كما يزعم نيفو وأمثاله.

وبما أن نيفو لا يدرك طبيعة القرآن هذه يزعم أن القرآن خليط من الأفكار اليهودية والنصرانية والتوحيدية الموجودة في النقب قبيل ظهور الإسلام. إن القرآن لا ينكر وجود اليهودية ولا النصرانية، بل ينتقد ويرفض الانحرافات عن التوحيد وتقاليد الشرك التي طرأت عليهما، كما يقول إنه إنما جاء لإحياء وإكمال رسالة التوحيد التي بلغها النبيون

---

(١) سورة الرعد آية : ١٢ - ١٣ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٨٠ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٩٤ .
(٤) سورة النحل آية : ٥١ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١ .

والرسل من قبل، ويقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ [1] (الأعلى: ١٨،١٩). ويشير أيضا إلى أنه بالرغم من الظلم والاضطهاد من قبل الكفار فإن مجموعة أو أفرادا من المؤمنين بالتوحيد لا يزالون في أماكن مختلفة [2] كما تشير روايات إسلامية إلى وجود بعض الموحدين (الحنفاء) في الحجاز قبيل ظهور الإسلام. فالمعلومات عن الآثار في النقب، خصوصا تلك التي تشير إلى وجود فكرة التوحيد، تؤيد وتوثق ما يقول القرآن والمصادر الإسلامية، خلافا لما يظنه نيفو.

خامسا: يغض نيفو النظر عن أن العرب ذوو عواطف، ويعتزّون بأسلافهم. فلو لم تكن قريش مشركين عند ظهور الإسلام، لما سمح أحفادهم من الأمويين أو العباسيين بتدنيس ذكرى آبائهم بالوثنية، كما يخطئ في زعمه أنه لا توجد آثار تشير إلى وجود اليهود في المدينة أو في خيبر، فإن آثار حصن كعب بن الأشرف أحد زعماء اليهود بالمدينة في عهد النبي ﷺ موجودة حتى اليوم في ضاحيتها. وبالجملة فإن مزاعم نيفو فاسدة ولا أساس لها من الصحة.

(١) سورة الأعلى آية : ١٨ - ١٩ .

(٢) القرآن ، ٨٥ : ٤-٨ .

مخطوطات صنعاء القرآنية وتخمينات المستشرقين المتجددة

سبق أن أشرنا إلى مخطوطات صنعاء القرآنية. [١] ففي سنة ١٩٧٠م عثر على مجموعة من المخطوطات القرآنية القديمة في الدور العلوي للمسجد الجامع الكبير بصنعاء. وفي بداية الثمانينات دعا مدير إدارة الآثار في اليمن، القاضي إسماعيل الأكوع خبيرين ألمانيين هما الدكتور جيرد ر. بوين (Gerd R Puin) وهـ. س. غراف فون بوتمر (H.C. Graf Von Bothmer) لترميم المخطوطات وصيانتها وذلك بالتعاون مع وزارة الخارجية الألمانية. وعمل بوين وبوتمر في صنعاء بضع سنين، ويبدو أنما لم يعملا خبيرين للترميم فحسب بل استهدفا عملا استشراقيا أيضا. فالتقط بوتمر صورا ميكروفلمية لأكثر من ٣٥٫٠٠٠ ورقة ورجع با إلى ألمانيا، وفي ١٩٨٧ كتب مقالة تحدث فيها عن هذه المخطوطات وأشار إلى أن أحدها، وهو ذو الرقم ٢٣-١٠٣٣ يرجع إلى الربع الأخير من القرن الأول الهجري، [٢] كما كتب بوين مقالة بعنوان "ملحوظات على المخطوطات القرآنية القديمة بصنعاء". [٣] وقد أثار خبر هذه المخطوطات اهتماما بالغا بين المستشرقين، فعقدوا ندوة في ١٩٩٨ بليدن (Leiden) عن "الدراسات القرآنية" حيث ألقى كل من بوين وبوتمر محاضرة في موضوع المخطوطات الصنعانية.

لم ينشر بعد مضمون محاضرتي بوين وبوتمر، غير أن بوين أشار في مقالته إلي اتجاهاته هو والمستشرقين عامة في هذا الصدد، إذ يشير أولا إلى الجهود المبذولة من قبل المستشرقين السابقين مثل أرثر جيفري (Arthur Jeffery) وأوتـو برتـزل (Otto Pretzel) وأنتـون شبيتالـ ـ ـر (Anton Spitaler) وأ. فشر (A. Fischer) لجمع المخطوطات القرآنية القديمة

---

(١) انظر ص ٩ .

(٢) بوتمر ، المصدر السابق .

(٣) انظر : Gerd R . Puin : " Observation on Early Qur]apos;an Manuscripts in San]apos;a " ، in Stefan Wilde (ed) ، The Qur]apos;an as Text ، E . J . Brill ، iden ، ١٩٩٦ ، pp . ١٠٧-١١١ .

ثم إعداد نسخة منقحة للقرآن بعد مقارنة ما يجدونه من اختلافات في النصوص في جميع النسخ، ويقول: إن هذه الجهود لم تنجح لأن المخطوطات المقتناة بجامعة ميونخ (Munich) لهذا الغرض - وهي عدد هائل من المخطوطات - دمرتا قنبلة وقعت عليها أثناء الحرب العالمية الثانية. ثم يقول بوين: إن المخطوطات القرآنية بصنعاء تتيح الفرصة لتجديد الجهود في الاتجاه نفسه. [١]

ثانيا: يشير بوين إلى النقاط التي لاحظها في المخطوطات وذكر منها: (أ) طريقة غير صحيحة في كتابة "الألف" (همزة) في عدد من المواضع (ب) الاختلاف في إحصاء عدد الآيات بالنسبة إلى بعض السور (ج) الاختلاف في ترتيب السور في ورقتين أو ثلاث. [٢]

ثالثا: يؤكد بوين أن هذه الاختلافات جدّ طفيفة وأنه إذا لم يتم جمعها بأكملها فإنه ربما لا يؤدي إلى اختراق أو تقدم مفاجئ في الدراسات القرآنية ولكنه يستطرد قائلا: " إن القرآن ليس بواضح (مع ادعائه أنه مبين) وإن وجود هذه الاختلافات يشير إلى أن السور القرآنية لم تكتب في شكلها النهائي أثناء حياة محمد (صلى الله عليه سلم) وأنه من المحتمل أن قرآنا ذا ترتيب مختلف للسور كان متداولا لزمن طويل (٣). [٣]

ومما لا شك فيه أن كتابة بوين وبوتمر أثارت تخمينات واسعة في دوائر استشراقية، فقام أحد المستشرقين - واسمه توبي ليستر (Toby Lester) باتصال هاتفي مع بوين [٤] ثم حرر مقالة صحافية لها وزنا نشرتا مجلة The Atlantic Monthly في عدد يناير، ١٩٩٩ بعنوان "ما هو القرآن؟")(What is the Quran) [5] تشتمل المقالة على ثلاثة أصناف من المواد: (أ) خبر عن المخطوطات الصنعانية والاستنتاجات التي توصلت إليها بوين

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٨-١١٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٧ و١١١ .
(٤) انظر خطاب بوين إلى القاضي الأكوع بتاريخ ١٤ / ٢ ١٩٩٩م المنقول في Impact International ، ج٣٠ ، (ا) العدد لمارس ٢٠٠٠م ، ص ٢٧ .
(5) انظر : The Atlantic Monthly ، January١٩٩٩ ، pp . ٤٣-٥٦ .

وبوتمر (ب) مزاعـــم المستشرقين الآخرين مثـــل وانسبرة وكرون وكوك ونيفو وبيلامي (J.A. Bellamy) عن القرآن (ج) إشارة إلى ما يقوم به المستشرقون حاليا من الدراسات القرآنية أو ما ينوون القيام به في المستقبل القريب.

أما بالنسبة للمخطوطات الصنعانية وعمل بوين و بوتمر فيها فكرر توبي ليستر ما قاله بوين في مقالته المشار إليه آنفا وأضاف أن بوين يرى أن القرآن تطور عبر زمن طويل ولم يكن كتابا م لا من السماء على محمد (صلى الله عليه وسلم) في القرن السابع الميلادي، وأنه ليس بواضح و"مبين"، بل كل خمس آيات من القرآن تكون الآية الخامسة منها لا يمكن فهمها أو تفسيرها، وأن هناك علامات في المخطوطات تدل على إعادة كتابة بعض العبارات في بعض المواضع (palipmsests) وأن المسؤولين في صنعاء غير حريصين على القيام بدراسات مفصلة لهذه المخطوطات حتى لا تحدث بلبلة في العالم الإسلامي ومع ذلك فإن المخطوطات الصنعانية ستساعد المستشرقين في إثبات أن للقرآن أيضاً تاريخاً كما أن هناك تاريخاً للكتاب المقدس. (١) وأما بالنسبة لأقوال وانسبرة والآخرين فقد تحدثنا عنهما من قبل إلا قول بيلامي الذي سنشير إليه فيما بعد. وأما بالنسبة لما ينوي المستشرقون عمله فسنشير إليه في الخاتمة إن شاء الله.

أثارت هذه المقالة لتوبي ليستر، أكثر من مقالتي بوين وبوتمر موجة من الاحتجاج والاغتياظ في الصحف اليمنية ضد المسؤولين في إدارة الآثار. فسارع بوين وبوتمر إلى توجيه خطابين إلى القاضي إسماعيل الأكوع وذلك لمنع تدهور العلاقة بينهما وبين المسؤولين اليمنيين. ودافع بوين عن نفسه وعن ا لمة الأمريكيـة (The Atlantic Monthly) قائلا إنه ليؤسفه "ما يزعم أن مجلة أمريكية نشرت اكتشافات مزعومة لباحثين ألمانيين وأنه يوجد بين الرقوق التي تم ترميمها ضمن المشروع الألماني قرآن مختلف عن القرآن المتداول حاليا بين المسلمين... إن هذه الحملة الصحفية ليس لها أساس فيما نشرته ا لمة الأمريكية

(١) المصدر السابق ، ص .

وليس لها أساس فيما يخص المخطوطات الصنعانية ولا أساس لها بالنسبة إلى البحوث القرآنية التي نقوم بها أنا وزميلي الدكتور جراف فون بوتمر... أتأسف جدا لهذه الحملة التي تستهدف إلى الإضرار بالتعاون العملي بين اليمن وألمانيا...". (١)

إن دفاع بوين لا يتفق وما تتضمنه مقالته ومقالة توبي ليستر. فهما شاهدان عليه، وقد قال ما أشرنا إليه آنفا على أساس هاتين المقالتين. كما كان أبدى رغبته في إثبات أن القرآن له تاريخ مشيرا إلى جهود المستشرقين السابقين في هذا الصدد. فينبغي أن نتحدث قليلا عن النقاط التي أثارها بوين.

أولا: إنه عندما يشير إلى المخطوطات القرآنية التي كانت قد جمعتها جامعة ميونخ في ألمانيا والتي دمرتا قنبلة أثناء الحرب العالمية الثانية، لا يشير إلى حقيقة هامة وهي أن المسؤولين عن هذه المخطوطات كانوا نشروا تقريرا أوليا عنها قبيل اندلاع الحرب قائلين: إنه قد تمت المقارنة بين عدد كبير من النسخ وإن لم تتم المقارنة بينها جميعاً، وإنه لم يوجد اختلاف في النص القرآني ما عدا أخطاء طفيفة في الإملاء أو النسخ هنا أو هناك والتي لا تمس بوحدة النص. (٢) فالاختلاف الذي لاحظه بوين في المخطوطات الصنعانية طبيعي ولا يتعدى هذا النوع من الأخطاء الإملائية.

ثانيا: إن إعادة كتابة لفظ أو عبارة في مكان ما (Palimpsests) لا تدل إلا على أن الكاتب كان قد أخطأ في كتابة اللفظ أو الحروف في أول الأمر فصححها بعد طمس الكلمة، أو أن الكلمة كانت قد طمست لسبب ما فكان من الضروري إعادة كتابتها. على أية حال، فإنا لا تدل على تطوير أو تعديل النص إلا في حالة وجود نسخة أخرى توجد فيها في الموضع نفسه عبارة أو كلمة أخرى، وهذا لم يثبت من المخطوطات الصنعانية أو من مخطوطات أخرى.

---

(١) انظر صورة خطاب بوئن في Impact International ، ج٣٠ ، عدد لمارس ٢٠٠٠ ، ص ٢٧ .

(٢) انظر : محمد حميد الله ، خطبات باولبور (باللغة الأردية) ، تحقيقات إسلامي ، إسلام آباد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٠ -٢١ ، المنقول في Impact International ، لندن ، مارس ٢٠٠٠ ، ص ٢٨ .

رابعا: إن وجود سورة أو جزء منها وسورة أخرى أو جزء منها بترتيب مخالف للترتيب القرآني على ورقة واحدة لا يدل على وجود نسخة للقرآن بترتيب مختلف، لأنه كان من عادة المسلمين من البداية - ولا يزال - جمع سور مختارة في مؤلف صغير، وذلك للتحفيظ أو الدراسة أو التدريس في مختلف المراحل التعليمية، ومن الطبيعي أنه قبل ظهور فن الطباعة كان هذا النوع من المجموعات يعد عن طريق النسخ. فليس غريبا أن توجد مخطوطات فيها سور باختلاف الترتيب القرآني، خصوصا تلك التي توجد في المساجد التي كانت مدارس للتعليم بلا استثناء.

وحتى وجود نسخة كاملة للقرآن بترتيب مختلف للسور لا يدل البتة على أن قرآنا مختلفا كان بأيدي المسلمين في وقت ما، إلا إذا ثبت أن ذلك كان مقبولاً ومعمولا با لديهم، وذلك نظرا لما يقوم به بعض الناس من حين إلى آخر لنشر القرآن بترتيـ ـ ـب السور حسب أوقات أو ترتيب نزولها. فرودويل (A. Rodwell) - مثلا - قام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية، ورتب فيها السور حسب أوقات نزولها، وسمّاها: The Coran : Translation with Suras Arranged Chronologically، وفي ١٩١١ تبعه رجل مسلم من البنغال فقام بترجمة جديدة لمعاني القرآن ورتب فيها السور حسب أوقات الـ ول. [(١)] كما قام ر. بيل (Richard Bell) بترجمة أخرى على المنهج نفسه في سنة ١٩٣٧. [(٢)] وقد عرفنا أن من أهداف المستشرقين إعداد ما يسمونه نسخة منقحة للقرآن. وفي الآونة الأخيرة جاء ج. أ. بيلامي بذا الاقتراح مجددا بزعم أن في القرآن أخطاء عديدة ينبغي تصحيحها، وأشار توبي ليستر في مقالته إلى كتابات بيلامي في هذا الصدد، فلننظر فيها.

---

(١) انظر : Fazl-Mirza Abu al ، apos;an]The Qur ، Arabic Text and English Translation ، Chronologically Arranged ، ١٩١١ ، (British]British brary Museum] Catalogue Call mark ١٤٥١٢ . d . ١٥) .

(٢) انظر : R . Bell : The Quran : Translated with a Critical Rearrangement with the Suras ، T . T and . Edinburgh Clark ، ١٩٣٧ .

أخطاء بيلامي (J.A. Bellamy) الخطيرة

كتب بيلامي سلسلة من المقالات في "مجلة الجمعية الاستشراقية الأمريكية" (Journal of the American Oriental Society)[1] يتحدث فيها عن ٢٢ كلمة وعبارة صعبة في القرآن يزعم أنا أخطاء من قبل النساخ أو أخطاء كانت في مصادر أو روايات اقتبس منها أجزاء من القرآن. ويقترح تصحيح هذه "الأخطاء" ويقول في مقالته الأخيرة: "إن علماء القرآن غير المسلمين متفقون على أن محمداً ألف القرآن بشكل أو آخر، ولذا ينسبون جميع المشكلات إليه.[2]

وإنه من الضروري بادي ذي بدء الإشارة إلى أن المسلمين لا يقبلون القول إن محمدا ﷺ ألف القرآن بشكل أو آخر، وفي الحقيقة هذا هو موضوع النقاش، كما أن القول إنه قد تكون أخطاء في المصادر أو الروايات التي اقتبس منها القرآن مجرد ظنّ من قبل المستشرقين لا أساس له من الصحة. يأخذ بيلامي كلا الافتراضين ممن سبق من المستشرقين. أما الكلمات والعبارات التي يعالجها في مقالته فقد حللها وفسرها المفسرون والنحاة، قديما وحديثا، لكن بيلامي يستخف بذه التحليلات والتفاسير ويستنتج على أساس الظن وسوء الفهم فيقع في أخطاء فاضحة. وفي الواقع يعترف في إحدى مقالته بخطئه في تفسير الحروف المقطعات الذي كان قد قدمه من قبل قائلا: إنا اختصار البسملة، وتجدر الإشارة إلى أن المستشرق الشهير، ثيودور نولدكة (Theodore Noldeke) كان قد اقترح في القرن التاسع عشر الميلادي أن الحروف المقطعة قد تكون اختصارات

---

(١) انظر: J . A . Bellami : " Al-al or Ruqa-raqim " : Surat note on A١٨ : ٩ " ، Journal of American Oriental Society : ، ١٩٩١ ، pp . ١١٥-١١٧; " Fa- Hayiyyah Ummuhu : Surah on Note A١٠١ : ٩ " ، ibid ، ١٩٩٢ ، pp . ٤٨٥-٤٨٧; " Qur the of Text the to Emenuation proposed Some[an apos; " ، ibid ، ١٩٩٣ ، pp . ٥٦٢-٥٧٣; and " More proposed Emenuations to the Text of the Koran " ، ibid ، ١٩٩٦ ، pp . ١٩٦-٢٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

لأسماء الرجال الذين ألفوا السور.

وسيتضح مدى أخطاء بيلامي لو نظرنا إلى بعض عينات مما يكتبه في هذا الشأن. فالكلمة الأولى التي يتحدث عنها في مقالتــه في ا لمة لـ ١٩٩٣، هي كلمة "حصب" في قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [1] (الأنبياء: ٩٨.) فيقول إن معنى الكلمة "الحصاة" أو "البلور الصخري" وإن معنى "الوقود" الذي يعطيه إياها المفسرون والمعجميون مثل الزبيدي في "تاج العروس" أو لين (Lane) في معجمه ليس بصحيح، كما يرفض قول بعض المستشرقين إن الكلمة مأخوذة من كلمة "حصبه" العبرية والتي تعني "خشب" أو "قطع الخشب". ثم يذهب قائلا: "إنه ينبغي أن تكون الكلمة هنا "حطب"، فهي الكلمة التي تعني الخشب للنار والتي تستعمل في موضع آخر في القرآن... وإنه لسهل جدا التصور كيف حصل هذا الخطأ عند كتابة "الحطب" نسي الناسخ وضع الخط العمودي للطاء فأصبحت الطاء صادا." [2]

إن قول بيلامي هذا لظن فقط لا أساس له من الصحة، فهو يفترض بلا دليل أنه كانت هناك نسخة فيها كلمة "الحطب" ولكنه لم يشر إلى شيء مثل هذا ولم تكن النسخة المزعومة موجودة على الإطلاق. ثانيا: يتجاهل حقيقة أن القرآن كان كتابا مفتوحا ومنشورا منذ البداية، ولم يكن كتابا محجوبًا عن الناس في أي وقت، فلو أخطأ ناسخ في كتابة كلمة في نسخة ما لكشفه ألوف من الحفاظ والقراء وعامة المسلمين الذين كانوا يقرءون القرآن يوميا في صلاتم ودراساتم. ثالثا: كما يتجاهل أن في كل اللغات كلمات لكل واحدة منها عدة معان حسب السياق والموضوع، فيظن أن لكلمة "الحصب" معنى واحداً فقط فلا يمكن استعمالها بمعنى آخر، ومن هذا المنطلق يسفه جميع المفسرين

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٨ .

(٢) Journal of the American Oriental Society، ١٩٩٣، p . ٥٦٤ .

والمعجميين القدماء والمحدثين من المسلمين والأوروبيين. رابعا: يذكر بيلامي أن القرآن يستعمل كلمة "الحطب" بمعنى خشب النار (٧٢: ١٥ و ١١١: ٤) ولكنه يغض النظر في الوقت نفسه عن أن القرآن يذكر بصراحة في موضعين أن "الحجارة" تكون وقودا للنار... ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (١) (البقرة: ٢٤). و ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (٢) (التحريم: ٦). فلا غرابة أن يذكر القرآن "الحصب" وقودا لجهنم. خامسا: إذا كان بيلامي يظن أن الحجر والحصب ليسا قابلين للاشتعال والتوقد فلا يمكن أن يكونا وقودا للنار فهو مخطئ للغاية. لأن الحجر والمعادن تذوب وتتقد كما نرى في الحمم (Lava) التي تقذفها البراكين والتي تتحجر بعد أن تبرد. وفي الحقيقة فإن جميع الأشياء تتقد وذلك متوقف على درجة الحرارة. وعرف أن درجة حرارة الحمم ١١٥٠ (ألف مائة وخمسون) درجة مئوية، والألماس (Diamond) - وهو أشد المعادن المعروفة حتى الآن - يذوب ويتقد بدرجة حرارة ٤٠٠٠ (أربعة آلاف) درجة مئوية. وهذه الحقيقة العلمية الهامة تكمن في الآيات القرآنية المذكورة. عندما يقول القرآن إن الناس والحجارة (ومنها الأصنام) وقود النار فهو يشير إلى شدة حرارة النار من ناحية وشدة العذاب للكافرين والمشركين من ناحية أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الناس يستعمل الحصباء أو قطع الحجارة لتزيد حرارة السخانة لتسخن فتشع بدورها الحرارة المتولدة منها، وذلك لوقت طويل حتى بعد إطفاء السخانة نفسها. وعاين كاتب هذه السطور نفسه استخدام قطع الحجارة وقودا للطبخ. فقد زار بكين (Bejing، China) العام الماضي حيث دعي إلى حفل عشاء في مطعم، فجيء بسمك طازج في آنية خزفية فيها ماء بارد ثم جيء بقطعتين أو ثلاث من الحجارة مسخنة إلى درجة عالية ثم ألقيت قطعتان من الحجارة في الآنية فبدأ الماء يغلي لبضع دقائق حتى

(١) سورة البقرة آية : ٢٤ .
(٢) سورة التحريم آية : ٦ .

صار السمك مطبوخا فأكله الضيوف وكان السمك المطبوخ لذيذا جدا.

ونظرا لكل هذه الحقائق فإن العبارة "حصب جهنم" في الآية ٢١: ٩٨ ملائمة وصحيحة، وما هي بخطإ من قبل الناسخ كما يظنه بيلامي.

والكلمة الثانية التي يتناولها بيلامي بالنقد في المقالة نفسها هي "الأمة" في الآية ١: ٨-

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ [١]... (هود: ٨).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم ﴾ [٢]... (يوسف: ٤٥)، فيقول إن المفسرين يفسرونا "بالوقت" أو "المدة" نظرا للسياق فقط، ولكنه ليس معناه الصحيح. كما يختلف عن المترجمين الأوروبيين مثل باريت (R. Paret) وبلاشير (Blachere) اللذين يفسرانا التفسير نفسه في هاتين الآيتين. ثم يقول بيلامي إن المعنى هنا، خصوصا في الآية ١١: ٨، يلزم أن يكون وقتا أو مدة، لكن يمكننا إعطاء هذا المعنى هنا إذا بدلنا التاء المربوطة في "الأمة" بالدال وجعلناها "أمدا"، ثم يقول: إن الناسخ أخطأ في قراءته للنص في الأصل فقرأ "أمة" مكان "أمد" وأنث الصفة (معدود) فكتبها معدودة وذلك إما بالسليقة أو من أجل تصحيحه العبارة. [٣] إن ادعاء بيلامي هذا يعتريه ما يعتري زعمه بالنسبة لكلمة "حصب" السالفة الذكر، وهو أنه يفترض أصلا لا وجود لها ولا يستطيع الإشارة إليه، كما أنه يتغاضى عن حقيقة أن نشر القرآن لم يكن قط أمرا فرديا لا ينظر إليه الآخرون من المسلمين. وإضافة إلى ذلك، فهو يفترض هنا عيبين في الناسخ المزعوم وهما خطؤه في قراءة الأصل المزعوم وانتحاله تصحيح النص القرآني أو تعديله، وكلاهما بلا دليل إلا الظن وهو غير مقبول. لو كان الناسخ المزعوم قادرا على تأنيث الصفة لموصوف مؤنث كما يقول بيلامي لانتبه للغرابة في معنى العبارة التي يكتبها ولتأمل في الأمر ولقام

(١) سورة هود آية : ٨ .

(٢) سورة يوسف آية : ٤٥ .

(٣) انظر : Journal of the American Oriental Society ، ١٩٩٣ ، p . ٥٦٤ .

بإعادة النظر فيه، وبما أنه لم يفعل شيئاً من ذلك فإنه لم يشعر بغرابة في معنى العبارة ولم يخطئ في القراءة أو في الكتابة.

وثانيا: يغفل بيلامي عن أن كلمة "أمة" جاءت في القرآن الكريم بعدة معان، منها بمعنى "المدة" أو "الحقبة من الزمان". (١) كما أنه يغفل عما يعطيها المعجميون الأوروبيون من المعاني، فمثلا يكتب هانزفير أن كلمة "أمة" تعني الجيل (Generation) بالإضافة إلى معان أخرى. (٢) والجيل أو generation في الإنجليزية تعني جيلا من الناس أو زمانم وهو المدة التي يتـرعرع فيها الأولاد من الطفولة إلى سن الرشد والإنجاب. (٣) لو أن بيلامي راجع هذا النوع من المعاجم العربية الإنجليزية لوجد أن كلمة "أمة" في الآيتين المذكورتين صحيحة وليست بغريبة.

وكلمة أخرى يتناولها بيلامي في مقالته الأخيرة في هذه السلسلة (٤) هي "لما" في الآية ١١١: هود ﴿ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ (5)...". يرفض بيلامي التفاسير النحوية التي يقدمه المفسرون المسلمون والمستشرقون مثل ر. بيل (R. Bell) و ج. برجشتراسر (G. Bargstrasser) لهذه الكلمة. هنا لم يذهب إلى القول إن هذه الكلمة خطأ وإنا ينبغي حذفها وتعديل الآية، ويضيف قائلا إن هذه الكلمة جاءت هنا بسبب خطأ من قبل النساخ. يقول إن الناسخ عندما فرغ من كتابة "وإن كلا" من الآية ١١١، رفع نظره

---

(١) انظر : مجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي : " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز " (تحرير محمد علي النجار) ، بيروت ، دون تاريخ ، ج٢ ، ص ٧٩-٨٠؛ الحسين بن محمد الدامغاني : قاموس القرآن (تحرير عبد العزيز سيد الأهل) ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٤٢-٤٤ .

(٢) انظر : Hans Wehr : A Dictionary of Modern Written Arabic (ed .)

(٣) انظر : Oxford Advanced arners Dictionary of Current English ، ed . A . S . Hornby and others ، third edition ، ١٩٧٤ ، eighteenth impression ، ١٩٨٣ ، p . ٣٥٧ .

(٤) انظر : Journal of the American Oriental Society ، ١٩٩٦ ، pp . ١٩٦-٢٠٤ .

(٥) سورة هود آية : ١١١ .

من الورقة فلفت النظر إلى الآية ١٠٩ حيث تقع العبارة "وإنا لموفوهم" فبدأ الكتابة من "لموفوهم"، ولكن بعد أن فرغ من كتابة "ل" و "م" شعر بخطئه فألغى الحرفين بوضع خط عمودي عبر "م" واستأنف كتابة الآية من "ليوفينهم". وهذه النسخة اعتمد عليه ناسخ آخر فقرأ الخط العمودي عبر "م" ألفا فكتب هناك "لما" بين "كلا" و "ليوفينهم"، وهكذا دخلت "لما" في الآية. (1)

لا حاجة للإشارة إلى التفاسير النحوية لـ "لما" في هذا المكان، وتكفي الإشارة إلى غير منطقية الحجة التي جاء بها بيلامي. أولا، إنه ليس من الطبيعي أن يلفت الناسخ المزعوم نظره إلى الوراء قبل آية كاملة (الآية ١١٠) وهي أطول من سطرين عاديين، ثم يبدأ بكتابة العبارة التي كان قد كتبها قبل قليل، ليس هناك أي تشابه بين العبارتين حيث إن الآية ١١١ تبدأ بـ "وإن" وتليها "كلا" والتي في آية ١٠٩ تبدأ بـ "إنا" وتليها "لموفوهم"، وإضافة إلى ذلك، فإن الناسخ المزعوم كان قد بدأ كتابة آية جديدة (أي آية ١١١) والعبارة "وإن" تقع في أولها في حين تقع العبارة "وإنا لموفوهم" في نهاية الآية ١٠٩، فالخطأ الذي يزعمه بيلامي أن الناسخ المزعوم كان قد ارتكبه بعيد كل البعد عن المنطق والاحتمال.

ثانيا: لو كان الناسخ المزعوم قد شعر بخطئه بعد كتابة حرفين وهما "اللام والميم"، لألغاهما بوضع خط أفقي عبر كليهما وليس بوضع خط عمودي عبر كليهما ولا بوضع خط عمودي عبر الميم فقط، كما يزعم بيلامي.

وثالثا: إن الظن أن ناسخا لاحقا قرأ الخط العمودي ألفا، فكتب "لما" في ذلك المكان ليس معقولاً على الإطلاق حيث إن الناسخ الثاني المزعوم كان بطبيعة الحال يعرف اللغة ويفهم معنى العبارة التي يكتبها، كما أنه من المستحيل أن نسخة واحدة فقط من القرآن والتي كان قد أعدها الناسخ الأول المزعوم كانت موجودة فاضطر الناسخ اللاحق المزعوم

(١) المصدر السابق ص ١٩٧ .

إلى اللجوء إليها لإعداد نسخته.

ونظرا لهذه الأمور فإن حجة بيلامي فاسدة ومضللة ولا تقنع أحدا ذا عقل سليم.

هذه هي بعض نماذج لما كتبه بيلامي في هذا الموضوع ولا حاجة للنظر هنا في بقية الكلمات التي يتناولها في مقالاته. إنه في كتابته عن هذه الكلمات الاثنتين والعشرين يرتكب في الحقيقة نفس العدد من الأخطاء الفاضحة.

فهرس الآيات

ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر ١٨
إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم............................ ١٩
إن هذا لفي الصحف الأولى.. ٢٠
إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ٢٧
الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين......................... ١٩
فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة................................ ٢٨
قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن......................... ٣
لأخذنا منه باليمين.. ٣
لا تحرك به لسانك لتعجل به ٢
لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى................................. ٣
هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال.................................... ١٨
وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير ٣٠
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا................................. ٣
وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلوني ٢٩
وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون.................................. ١٩
وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا.. ٢
ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم................................ ٢٩
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر...................... ١٩
ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر.......................... ١٨
ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ٢٨

الفهرس

تمهيد ٢

ج. وانسبرة ((J. Wansborough وأعوانه ٧

يهودا دي نيفو ((Yehuda De Nevo والمنقحون((The Revisionist ١٣

مخطوطات صنعاء القرآنية وتخمينات المستشرقين المتجددة ٢١

أخطاء بيلامي ((J.A. Bellamy الخطيرة ٢٦

فهرس الآيات ٣٣

الفهرس ٣٤